مقارنة بين
المقاومة الفلسطينية والثورة الجزائرية

نانسي جلاجر

مقدمة : كثيرا ما نجد الكتابات حول حركة المقاومة الفلسطينية تشير اشارات عابرة الى الثورة الجزائرية. وغالبا ما يجري عقد المقارنات بين الحركتين من قبل الفلسطينيين والجزائريين أنفسهم . وعمد بعض الكتاب ، من ناحية أخرى ، الى ابراز الفروقات بين الحالتين ، وحذر من اجراء التعميمات السطحية والمبسطة . وعلى اي حال ، لا بد من الاعتراف بدرجة معينة من التشابه بين الحركتين اذ أن هناك تزامنا جزئيا بينهما ، وفي كل من البلدين شعب يواجه خصما متفوقا من الناحية التكنولوجية ، جاء من أوروبا وأقام لنفسه وجودا على الارض . كذلك فان نجاح حرب الاستقلال الجزائرية يجعل مثل هذه المقارنات أمرا شيقا . ان المسألة الفلسطينية ، انطلاقا من مثل هذه المقارنات ، تقع ضمن النضال المعادي للامبريالية في العالم الثالث ، وجزء من الحرب ذاتها التي خاضتها الجزائر والدول الافريقية وفيتنام . ولم يعد انشاء دولة اسرائيل مسألة فريدة ، ضخمة وغامضة . ولم يعد الفلسطيني ، بفعل درس الجزائر ، تلك الذبيحة تضحيها قوى مجهولة ، بل انسان يعاني من أحد أشكال ظاهـــرة التوسع الكولنيالي الغربي المألوفة .

سوف ننظر الى هذه المقارنات بشيء مـــن الحذر . وستبحث هـــذه المقالة أولا في الوضعين بشكل عام بحيث تظهر بعض الفروقات بينهما . ثم تعالج مجالات أربعة كان للنموذج الجزائري تأثير واضح فيها . واخيرا سنحاول تقييم معنى هذه المقارنة وفائدتها بالنسبة لممارسة النضال الفلسطيني في وضعه الراهن .

في ١٦ آب ١٩٧٢ كتب محمد حسنين هيكل في الاهرام مشيرا الى بعض الفروقات بين الوضع الفلسطيني والوضع الجزائري وكذلك الوضع في فيتنام . فقال انه في الجزائر كان هناك ٤٠٠ ألف جندي فرنسي وسط مجموع سكان الجزائر البالـــغ عشرة ملايين جزائري . اما في اسرائيل فالعرب يقلون عن المليون بينما يبلغ عدد الاسرائيليين مليونين وربع ، ولدى اسرائيل ربع مليون جندي يمكن أن يعبأوا بسرعة . وأرض فلسطين ليست كأرض الجزائر بجبالها الوعرة وأماكنها الطبيعية الصالحة للاختباء . فسهول فلسطين وتلالها الصغيرة ليست كافية ، خاصة برقعتها الضيقة المقفلة . ومن ثم يسهل العثور على الفدائيين بطائرات الهليكوبتر الواقفة دائما على أهبة الاستعداد . ولا توجد أماكن قريبة يمكن اللجوء اليها لاستعادة النشاط الفدائي والتحضير لهجمات جديدة ، كما لا توجد على الحدود دولة منيعة كما هي الصين بالنسبة للفيتناميين وكما كانت تـــونس والمغرب بالنسبة للجزائريين . فالاسرائيليون على استعداد لضرب أية دولة عربية دون ان يكون بمقدور أي من هذه الدول مقاومة مثل هذا الهجوم(١) .

ويختلف الاسرائيليون عن المستعمرين الفرنسيين بما هو أكثر من الفارق العددي .